

جذور وأصول الفكر الإيقاعحيوي (2)

مقتطفات: من كتاب "رباعيات...و.. رباعيات"

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD040617.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsyh2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2017/06/04

السنة العاشرة - العدد: 3564



المقدمة:

ها هو الكتاب الثاني الذي دخل إلى المطبعة، وقد كتبت نصف الفصل الأول منه (منذ نيف وأربعين عاما) عن "شخصية صلاح جاهين وحالته الفرحانقباضية" كما أسماها هو بنفسه، وقد استلهمت منه هذا الاسم، ونحتت على منواله

نحتت على منواله نوعين من أنواع الشخصية، وهما: الشخصية المغيرانسحابية، Invasive-Withdrawn Personality والشخصية الشكّاحتوائية Suspicious-Incorporative

نوعين من أنواع الشخصية، وهما: الشخصية المغيرانسحابية، Invasive-Withdrawn Personality والشخصية الشكّاحتوائية Suspicious-Incorporative من تجليات نبض الإيقاعحيوي، وهي توجد جميعها في الحياة العادية، ولا توصف بأنها اضطرابات شخصية إلا زادت حدتها، وأعاقت، وأضرّت، وأزعجت (مثلما هي القاعدة، وأيضا: أنظر بعد).

هذه الصفة (الدورية) لا تقتصر على جنون الهوس والاكتئاب، بل إنها كانت أصلا (تاريخيا) تصفه أخلج أنواع الأمراض العقلية، لدرجة يمكن معها أن يعتبر الفاحص الأمين أن اختفاء هذه الدورية هي من علامات ثبات التدهور، وهي الصورة المحزنة لمسيرة المرض العقلي نحو الثبات الرمادي (من الرماد)

المفروض أن المقتطفات اليوم هي من هذا الكتاب الذي دخل المطبعة فعلا، ولكنني رأيت أن أدعمها بما جاء في مقال بمجلة الإنسان والتطور الفصلية يؤكد عمق جذور الفكر الإيقاعحيوي أيضا لأختم بمقتطف من الكتاب الأساس "دراسة في علم السيكيوباتولوجي" وفيه وصف الشخصيتين النوابتين اللتين أضفتهما، وأشارت إليهما حالا تأكيدا على تجليات الإيقاع الحيوي على كل المستويات.

المقتطف الأول: من: "رباعيات ورباعيات" ص 9]

(هو من الجزء الأول من الفصل الأول الذي يعاد طبعه الآن، وهو عن "صلاح جاهين وشخصيته الفرحانقباضية") وقد جاء نصه:

....."حين يفشل الإيقاع الحياتي اليومي أن يحقق الهارموني ويستوعب التناقض في المسيرة المتمعة المتكاثفة، وهذه الصفة (الدورية) لا تقتصر على جنون الهوس والاكتئاب، بل إنها كانت أصلا (تاريخيا) تصف أغلب أنواع الأمراض العقلية، لدرجة يمكن معها أن يعتبر الفاحص الأمين أن اختفاء هذه الدورية هي من علامات ثبات التدهور، وهي الصورة المحزنة لمسيرة المرض العقلي نحو الثبات الرمادي (من الرماد)

يبدو أن هذه النوابية تظهر عند الشعراء أوسع وأصرح ولعلها هي جوهر الحياة عاممة والوجود البشري خاصة والمخ البشري بشكل أكثر تخصصا

التعقيب:

..... له لا يكون العلاج دوريا

تمهيدا لإعادة الدوران
الصحية بدلا عن الدوران
المرضية؟

لم لانفهم وسائل العلاج ونفاضل
بينها وننتقي منها ما يناسب
هذا المنطلق الدوري، بدلا
من الفهم الخطى الكمي أو
التناول التصليبي القمعي
الطويل المدى المتستر تحت
اخفاء الأعراض؟

كان ذلك لدعم فكرة أن ما
يسمى الصدمة الكهربائية هو
استعادة تنظيم إيقاع الدماغ
وليست صدمة بالكهرباء كما
يُربحون العامة منها

..... والإيقاع الحيوي هو
الصفة الأساسية للوجود
البشري، بل للوجود كله (2)،
وبالتالي فهو ليس مرضا أصلا

لماذا يظهر سلوكيا عند
البعض هي شكل دورات
نوبات المزاج العادية، هي
حين أنه يصبح مرضا عند
آخرين هي شكل نوبات
دورية لعديد من الأمراض
العضوية ثم أخيرا قد يظهر
هي شكل نوبات إبداع هائق
عند فريق ثالث؟

أعتقد هذا المقتطف لا يحتاج إلى تعقيب لما له من ارتباط مباشر بما تقدمه هذه الأيام، إلا
أننى تذكرت أننى بعد كتابة هذا النصّ بحوالى عشر سنوات ألمحت إلى هذا المفهوم الدورى
لأبرر به فرضى عن أن يكون العلاج دوريا مواكبا وخاصة جلسات تنظيم إيقاع الدماغ
(الصدمة الكهربائية) فرأيت الآن أن أقدم لكم هذا المقتطف بما يحمله من تراث دال، المقتطف
من المجلة الأم.

المقتطف الثاني من: مجلة الإنسان والتطور، مقال "الصدمة بالكهرباء أم تنظيم للإيقاع"
عدد أبريل 1982) وقد جاء فيه:

..... هذا المفهوم الدورى للمرض قديم قدم قول عمران بن حطان (1).

أفى كل عام مرضة ثم نقهة وأنعى ولا أنعى فكم ذا إلى متى
ثم عقت بعد ذلك قائلا:

يبدو أن هذه النوابية تظهر عند الشعراء أوضح وأصرح ولعلها هي جوهر الحياة عامة
والوجود البشرى خاصة والمخ البشرى بشكل أكثر تخصيصا، فظهورها ليس قاصرا على
المرض النفسى (العقلى) بل لعله علامة حيوية ومأل جيد بدلا عن الثبات الرمادى، وعلى
ذلك فعلىنا أن نتساءل:

..... لم لا يكون العلاج دوريا تمهيدا لإعادة الدورات الصحية بدلا عن الدورات المرضية؟
ولم لانفهم وسائل العلاج ونفاضل بينها وننتقي منها ما يناسب هذا المنطلق الدورى، بدلا من
الفهم الخطى الكمي أو التناول التصليبي القمعي الطويل المدى المتستر تحت اخفاء الأعراض؟

انتهى المقتطف 1982

التعقيب (الآن)

كما نرى: كان ذلك لدعم فكرة أن ما يسمى الصدمة الكهربائية هو استعادة تنظيم إيقاع
الدماغ وليست صدمة بالكهرباء كما يُربحون العامة منها، وهذا ما أشرنا إليه حالا.

وقد عقت أيضا بعد الاستشهاد فى نفس المقال قائلا فى نفس النص:

..... والإيقاع الحيوي هو الصفة الأساسية للوجود البشرى، بل للوجود كله (2)، وبالتالي فهو
ليس مرضا أصلا، أما لماذا يظهر سلوكيا عند البعض فى شكل دورات نوبات المزاج العادية،
فى حين أنه يصبح مرضا عند آخرين فى شكل نوبات دورية لعديد من الأمراض العضوية
(مثل قرحة المعدة، وتقرح القولون، وكثير من الأمراض الجلدية) والنفسية (مثل كل الأمراض
الدورية وخاصة الهوس والاكتئاب)، ثم أخيرا قد يظهر فى شكل نوبات إبداع هائق عند فريق
ثالث؟ وكل ذلك يتوقف على فرص استيعاب طاقة النبض الحيوي التى تشمل كلا من: (1)
السماح و(2) المجال و(3) الأداة، فبقدر ما تجد نبضات الإيقاع الحيوي مساحة للطلاقة،
وسماحا بالمحاولة، ومجالا للتشكيل، وأداة للتعبير، يكون تجليها إبداعا وحيوية وصحة، وبقدر
تواضع أو ضيق أو انتفاء بعض أو كل هذا، يكون المرض.

التعقيب:

وهل هناك وضوحاً لإثبات مدى عمق جذور هذا الفكر الإيقاعي، لعل ذلك يشجع المثابرة إلى مزيد من التطبيق والإفادة مما قد يأتي به.

ثم ننقل إلى الاقتطاف من: "الكتاب الأساس".

المقتطف الثالث): من كتاب "دراسة في علم السيكوباتولوجي: شرح ديوان سر اللعبة 1979)

وهو يخص الوصف الكامل لكل من الشخصيتين المضافتين جديداً من منطلق نوابية الوجود البشرى (والحيوي)، بعد شرح الشخصية الفرحتاقباضية التي سنعود إليها لاحقاً ونحن مع صلاح جاهين والدراسة المقارنة

المقتطف من: ("دراسة في علم السيكوباتولوجي": شرح ديوان سر اللعبة 1979)

2 - الشخصية المغيرانسحابية The invasive-withdrawn

وتتميز هذه الشخصية بالتناوب بين قطبين أقل شيوعاً من قطبي الفرغ والاكنتاب وهما قطبي ومثل هذا الشخص يوجه طاقة الاندفاع (Systole) المتلاحقة ما بين اكتساح ما أمامه في إغارة مسيطرة لا تسمح له بأن يرى الآخر منفصلاً عن اندفاعه بحيث تتاح له الفرصة في احتكاك يؤدي إلى النمو، وما بين انسحاب حقيقي (فيزيائي) أو عاطفي يلغى به الآخر تماماً، وقد يصاحب هذا الانسحاب بعض مظاهر الكمون الظاهري إلا أننا نعني هنا الانسحاب النشط المحتج الذي قد يعقبه اندفاع تال وهكذا، أما الانسحاب النمطي المتحوصل فهذا من صفات الشخصية (الشيزيدية⁽³⁾) (وهو مالا نغنيه هنا، ونتيجة لهذا التناوب المتلاحق يتوقف النمو نتيجة لانغلاق الدائرة دون تصاعد لولبي كما ذكرنا.

3 - الشخصية الشكّاتوائية The suspicious-incorporative

... قُطِبَ التناوب في هذه الشخصية هما ما بين الشك والاحتواء، إذ يغمر الشك والتوجس مثل هذا الشخص إذا ما اضطر لاستقبال الآخر، كآخر، وقد يكون هذا الشك والتوجس مجرد تمهيد لخطوة أخرى من الانسحاب، وعلى قدر غلبة الشك واستمراره دون التسرع بالانسحاب يكون الاسم جديراً بهذا السلوك، أما القطب البديل لهذا الشك والتوجس فهو الاحتواء، فإنه قد يبدو أن هذا الشخص الشكّك ناجح في علاقاته مع آخرين نجاحاً ملحوظاً، وهو يبدو وكأنه يقربهم إلى نفسه ويضع فيهم ثقة خاصة ومبالغة فيها، والواقع أنه لا يفعل ذلك إلا بقدر ما يستطيع أن يحتوي هؤلاء الأشخاص داخل عالمه الذاتي (أي داخل ذاته نفسها)، فهم ليسوا شخوصاً بالمعنى "الموضوعي" بل مجرد موضوعات مُدخلة جاهزة للإسقاط إلا أن المهم هنا هو وجود التناوب بين هذين القطبين بشكل يجهض النمو بإغلاق دائرته، ولكنه لا يصل إلى تحديد مرضي صريح، أو إلى الاستقرار على سلوك نمطي تجاه قطب بذاته إلا إذا استوفى شروط المرض.

التعقيب:

بقدر ما تجد نبضاته الإيقاعي الحيوي مساحة للطلاقة، وسماحاً بالمحاولة، ومجالاً للتشكيل، وأداة للتعبير، يكون تجليهما إبداعاً وحيوية وصحة، وبقدر تواضع أو ضيق أو انتفاء بعض أو كل هذا، يكون المرض

تتميز الشخصية

المغيرانسحابية بالتناوب بين قطبين أقل شيوعاً من قطبي الفرغ والاكنتاب وهما قطبي ومثل هذا الشخص يوجه طاقة الاندفاع (Systole) المتلاحقة ما بين اكتساح ما أمامه في إغارة مسيطرة لا تسمح له بأن يرى الآخر منفصلاً عن اندفاعه بحيث تتاح له الفرصة في احتكاك يؤدي إلى النمو، وما بين انسحاب حقيقي (فيزيائي) أو عاطفي يلغى به الآخر تماماً

... قُطِبَ التناوب في هذه الشخصية الشكّاتوائية هما ما بين الشك والاحتواء، إذ يغمر الشك والتوجس مثل هذا الشخص إذا ما اضطر لاستقبال الآخر، كآخر، وقد يكون هذا الشك والتوجس مجرد تمهيد لخطوة أخرى من الانسحاب،

أما القطب البديل لهذا الشك والتوجس فهو الاحتواء، فإنه قد يبدو أن هذا الشخص

وهكذا نرى أن المصطلح الذي ساد مؤخرا بقصر تعبير "اضطراب ثنائي القطب" Bipolar Disorder على حالات الاضطراب الوجداني الهوسي بالذات هو تعبير يحتاج مراجعة ونقد ومتابعة.

وغداً سوف نعود إلى رباعيات ورباعيات لنواصل أكثر في البحث عن جذور وأصول هذا الطب الذي نأمل أن نضيف من خلاله مزيداً من الفهم لمزيد من العلم.

(- [1]عمران بن حطان) توفي 84 هـ / 703 م) هو شاعر عربي، من شعراء صدر الإسلام.

- [2] وقد تطور هذا المدخل وتأكد مؤخرًا في نظرية المؤلف: "النظرية الإيقاعية التطورية Evolutionary Rhythmic Theory" ثم تطور بعد ذلك إلى مفهوم متكامل لممارسة الطب النفسي باسم Biorhythmic Psychiatry Evolutionary الإيقاعحيوي، ومازل يواصل عرضه والتنظير فيه من واقع الممارسة في موقعه وغير ذلك: (www.rakhawy.net)، حيث بلغ عدد الصفحات حتى الآن 1270 صفحة . A4 من نشرة: 2016-1-24 إلى 2017-5-29.

- [3] كانت في الأصل الشخصية الشيفصامية، وقد سبق أن ناقشتُ سبب رفضي اللاحق لهذه الترجمة وتفضيلي التعريب.

*** **

الشكائنا نابع في علاقاته مع آخرين نجاحاً ملحوظاً، وهو يبدو وكأنه يقربهم إلى نفسه ويضع فيهم ثقة خاصة ومبالغة فيها، والواقع أنه لا يفعل ذلك إلا بقدر ما يستطيع أن يحتوي هؤلاء الأشخاص داخل عالمه الذاتي (أي داخل ذاته نفسها).

أن المهم هنا هو وجود التناوب بين هذين القطبين بشكل يحمض النمو بإخلاق دائرته، ولكنه لا يصل إلى تحديد مرضي صريح، أو إلى الاستقرار على سلوك نمطي تجاه قطبه بذاته إلا إذا استوفى شروط المرض

المعجم " النفساني " في العلوم والطب

معجم المصطلحات الأساسية في علوم وطب النفس

إعداد نخبة من أبرز الأطباء وعلماء النفس العرب

المعجم " النفساني " على المتجر الإلكتروني

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=46&controller=category&id_lang=3

دليل المعجم " النفساني " (تحميل حر)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=252&controller=product&id_lang=3

المعجم " النفساني " على شبكة علوم النفس العربية

مصطلحات الحرف الأول من " المَوْسَّج " العربي (تحميل حر)

<http://www.arabpsynet.com/Annafssany/AnnafssanyDictElectFree.Ar.pdf>

مصطلحات الحرف الأول من " المَوْسَّج " الانكليزي (تحميل حر)

<http://www.arabpsynet.com/Annafssany/AnnafssanyDictElectFree.Eng.pdf>

مصطلحات الحرف الأول من " المَوْسَّج " الفرنسي (تحميل حر)

<http://www.arabpsynet.com/Annafssany/AnnafssanyDictElectFree.Fr.pdf>

المعجم " النفساني " على الفايس بوك

<https://www.facebook.com/Dictionaries-Encyclopedias-204277553287741/>